

خطاب محمد الضيف في إطلاق طوفان الأقصى:

قراءة في المنطلقات والمقاصد

د. وصفي عاشور أبوزيد

مقدمة: الضربة المباغتة وإعلان "طوفان الأقصى"

في فجر يوم السبت السابع من أكتوبر 2023 م الموافق 22 من ربيع الأول 1445 هـ، قامت ثلة مباركة من كتائب المقاومة، وباغتت العدو بضربة لم يشهدها في تاريخه، فغنمت منه ما غنمت، وأسرت منه ما أسرت، وتركته في حالة ذهول بعدما أُصيب بالدوار، ولم يتمالك نفسه ويستعيد قواه العقلية والنفسية إلا بعد يومين من هذه الضربة الكبرى. وأطلق قائد أركان الكتائب محمد الضيف كلمة أطلق فيها على المعركة "طوفان الأقصى". ويحسن بنا أن نورد كلمته هنا للتاريخ، قال:

نص الخطاب: البسملة والتحشيد

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وقائد المجاهدين، وعلى آله وصحبه أجمعين. قال تعالى: {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ، بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ}. يا جماهير

أمتنا العربية والإسلامية، من المحيط إلى الخليج، ومن طنجة إلى جاكارتا، يا
أحرار العالمين أجمعين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد،"

سرد لجرائم الاحتلال وانتهاكاته

"لقد احتل الكيان الصهيوني أرضنا، وهجر أهلنا، ودمّر مدننا وقرانا
وبلداتنا، وارتكب بحق شعبنا مئات المجازر. قتل الأطفال والنساء والشيوخ،
وهدم البيوت على رؤوس الأبرياء الأمنين، وضرب بعرض الحائط كل الأعراف
الدولية، وقوانين حقوق الإنسان، وتنكر للقوانين الدولية".

تفاقم الجرائم في القدس والمسجد الأقصى

"وقد سبق وحذرنا قادة الاحتلال من استمرار جرائمهم، وأهّبنا بقادة
العالم التحرك لوضع حدّ لجرائم الاحتلال بحقّ ومقدساتنا وشعبنا وأسرانا
وأرضنا، فلم يستجب قادة الاحتلال، ولم يتحرك قادة العالم، بل ازدادت
جرائم الاحتلال وتجاوزت كل الحدود، وخصوصاً في القدس والمسجد الأقصى
المبارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين. فازدادت اقتحامات قوات
الاحتلال لباحات الحرم، وداسوا قداسة المسجد بأحذيتهم، واعتدوا على
المرباطات بالضرب والسحل، مراراً وتكراراً، وسحلوا الشيوخ الكبار والأطفال
والشباب، ومنعوا أهلنا من الوصول للمسجد، وأفسحوا المجال للجماعات
اليهودية لتدنيس المسجد الأقصى بالاقتحامات اليومية وأداء الطقوس
والصلوات التلمودية، والنفخ بالبوق وهم يلبسون ثياب الكهنة، ولم يُخفوا
نواياهم بإقامة هيكلهم المزعوم على أنقاض مسرى نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم، وقد أحضروا البقرات الحمراء لحرقها، وذَرَّ ماء رمادها كإعلان عمليّ لهدم الأقصى وبناء الهيكل. وقد تجرّأوا على سبّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم داخل باحات المسجد الأقصى المبارك، ومزّقوا المصاحف، ودخلوا بالكلاب إلى المساجد. وهم في كل يوم يثبّتون حقائق جديدة على طريق أحلامهم السوداء. وفي كل يوم يهاجمون أهلنا في أحياء القدس، ويسرقون بيوتهم وعقاراتهم".

جرائم الأسرى والضفة الغربية والحصار

"وفي نفس الوقت، لا تزال سلطات الاحتلال تحتجز الآلاف من أسرانا الأبطال، وتمارس ضدهم أبشع أساليب القهر والتعذيب والإذلال. المئات من أسرانا قضوا في غياهب السجون عشرين سنة ويزيد، والعشرات من أسرانا وأسيراتنا أكل السرطان والمرض أجسادهم، وقضى الكثيرون نحبهم نتيجة الإهمال الطبي والقتل البطيء المتعمّد. ولقد قوبلت دعواتنا بعقد صفقة تبادل إنسانية بالرفض والتعنّت. في كل يوم تقتحم قوات الاحتلال مدننا وقرانا وبلداتنا على امتداد الضفة الغربية، وتعيث فيها فساداً، وتدهم بيوت الأمنين: تقتل وتُصيب، وتهدم وتعتقل، حيث ارتقى المئات من الشهداء والجرحى في هذا العام جرّاء هذه الجرائم. وفي الوقت نفسه، تصادر الآلاف من الدونمات، وتقتلع أهلنا من بيوتهم وأراضيهم ومضاربهم، وتبني مكانها المستوطنات، وتحمي قطعان المستوطنين، وهم يعربدون ويحرقون ويسرقون

ويُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَسْتَمِرُّ فِيهِ جَرِيمَةُ الْإِحْتِلَالِ بِفَرْضِ
الْحَصَارِ الْمَجْرَمِ عَلَى قِطَاعِنَا الْحَبِيبِ".

إعلان بدء العملية وتفاصيل الضربة الأولى

"في ظل هذه الجرائم المتواصلة بحق أهلنا وشعبنا، وفي ظل عريضة
الاحتلال وتنكُّره للقوانين والقرارات الدولية، وفي ظل الدعم الأميركي والغربي
والصمت الدولي، فقد قررنا أن نضع حدًّا لكل ذلك بعون الله، ليفهم العدو أنه
قد انتهى الوقت الذي يعرِّب فيه دون محاسب. فإننا نعلن بدء عملية "طوفان
الأقصى". كما أننا نعلن بعون الله وقوته أن الضربة الأولى من عملية "طوفان
الأقصى" والتي استهدفت مواقع العدو ومطاراته وتحصيناته العسكرية خلال
العشرين دقيقة الأولى قد تجاوزت خمسة آلاف صاروخ وقذيفة".

نداء للمجاهدين في غزة

"يا جماهير شعبنا وأمتنا، يا أحرار العالم، اليوم يتفجر غضب الأقصى،
غضب شعبنا، غضب أمتنا، غضب أحرار العالم. مجاهدونا الأبرار، هذا
يومكم لتفهموا هذا العدو المجرم أنه قد انتهى زمنه. {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ}. لا تقتلوا الشيوخ والأطفال،
وأزِيلُوا هَذَا الدَّنَسَ عَنْ أَرْضِكُمْ وَمَقْدَسَاتِكُمْ. قَاتِلُوا، وَالْمَلَائِكَةُ سَيَقَاتِلُونَ مَعَكُمْ
مُرْدِفِينَ، وَسَيَمِدُّكُمْ اللَّهُ بِمَلَائِكَتِهِ مَسْوِّمِينَ، وَسَيُوفِي اللَّهُ بِوَعْدِهِ لَكُمْ، {وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}."

نداء للضفة الغربية وإنهاء التنسيق الأمني

"يا شبابنا في الضفة الغربية، يا كل أهلنا على اختلاف تنظيماتكم، اليوم يومكم لتكنسوا هذا المحتل ومستوطناته عن كل أرضنا في الضفة الغربية، ولتجعلوه يدفع ثمن جرائمه طيلة السنوات العجاف الطوال. نظّموا هجماتكم على المستوطنات بكل ما يُتاح لكم من وسائل وأدوات. اليوم، نعم، بدءاً من اليوم، ينتهي التنسيق الأمني وأجهزته، لتثبتوا أن وطنيتكم وانتماءكم للأقصى والقدس وفلسطين أكبر من كل أوهام الاحتلال. اليوم، نعم اليوم، يستعيد شعبنا ثورته، ويصحّح مسيرته، ويعود لمشروع التحرير والعودة وإقامة الدولة، بالدم والشهادة".

نداء للقدس والداخل المحتل

"يا أهلنا في القدس، هبّوا لنصرة أقصاكم، واطردوا قوات الاحتلال والمستوطنين من قدسكم، واهدموا الجدران العازلة. يا أهلنا في الداخل المحتل، في النقب والجليل والمثلث، في يافا وحيفا وعكا واللد والرملة، أشعلوا الأرض لهيباً تحت أقدام المحتلين الغاصبين، قتلاً وحرقاً وتدميراً وإغلاقاً للطرق، وأفهموا هذا المحتل الجبان أن طوفان الأقصى أكبر مما يظن ويعتقد".

نداء لجهات المقاومة الإقليمية

"يا إخواننا في المقاومة الإسلامية، في لبنان وإيران واليمن والعراق وسورية، هذا هو اليوم الذي تلتحم فيه مقاوماتكم مع أهلكم في فلسطين، ليفهم هذا المحتل الرعديد أنه قد انتهى الزمن الذي يعرّب فيه، ويغتال العلماء

والقادة. قد انتهى زمن نهب ثرواتكم. قد انتهى القصف شبه اليومي في سورية والعراق. قد انتهى زمن مَنْ راهنوا على تقسيم الأمة، وبعثرة قوتها في صراعات داخلية. وأن الأوان أن تتحد كل القوى العربية والإسلامية لكس هذا الاحتلال عن مقدساتنا وأرضنا".

نداء للزحف من الدول العربية والإسلامية

"يا أهلنا في الأردن ولبنان، في مصر والجزائر، والمغرب العربي، في باكستان وماليزيا وأندونيسيا، وفي كل أنحاء الوطن العربي والإسلامي، ابدأوا بالزحف اليوم، الآن وليس غداً، نحو فلسطين، ولا تجعلوا حدوداً ولا أنظمة ولا قيوداً تحرمكم شرف الجهاد والمشاركة في تحرير المسجد الأقصى. {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}. اليوم، اليوم، كل مَنْ عنده بندقية فليُخرجها، فهذا أوانها. وَمَنْ ليس عنده بندقية، فليخرج بساطوره، أو بلطته، أو فأسه، أو زجاجته الحارقة، بشاحنته، أو جرافته، أو سيارته. اليوم، اليوم، يفتح التاريخ أنصع وأبى وأشرف صفحاته، فَمَنْ يسجّل اسمه واسم عائلته واسم بلدته في صحائف النور والمجد؟"

نداء للتضامن العالمي والدعم اللوجستي

"يا أبناء أمتنا، ويا أحرار العالم، مَنْ لم يستطع المشاركة في "طوفان الأقصى" مشاركة فعلية مباشرة، فليشارك بالتضامن والتظاهر والمساندة. اخرجوا للساحات والميادين، وارفعوا راية الحرية لفلسطين والأقصى، وأعلنوا

الاعتصامات المفتوحة في كل مكان لمنع الأنظمة التي وفّرت الدعم والغطاء لجرائم الاحتلال من استمرارها في شراكتها في جريمته. هذا يوم الثورة الكبرى من أجل إنهاء الاحتلال الأخير، ونظام الفصل العنصري الأخير في العالم".

نداء للأئمة وحُفّاظ القرآن

"أيها الصالحون والصالحات، يا صفوة الحفّاظ، يا حفظة كتاب الله، أيها العابدون، الصائمون، القائمون، الراكعون، الساجدون، اجتمعوا في مساجدكم وأماكن عبادتكم، واضرعوا إلى الله، وألحوا عليه أن ينزل علينا نصره، وأن يمدّنا بملائكته مُردّفين، وأن يحقق بنا آمالكم بالصلاة في الأقصى محرراً مطهراً إنه {نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ}".

خاتمة الخطاب

"وفي الختام، على الجميع متابعة التوجيهات والتعليمات عبر البيانات العسكرية المتتابة {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}. أخوكم القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام، محمد الضيف".
انتهى الخطاب.

أولاً: قراءة في المنطلقات

مدخل إلى استراتيجية الخطاب

إن كلمة القائد العام لكتائب الشهيد عز الدين القسام، محمد الضيف، عند إعلان عملية "طوفان الأقصى" تُشكّل وثيقة خطابية استراتيجية يُرادُ

منها أن تكون نقطة انطلاقٍ سياسيةٍ وعسكريةٍ وشعبيةٍ في آنٍ واحد؛ تحمل الكلمة مجموعةً مرجعيةً ومقدّماتٍ تكتيكيةٍ واستراتيجيةٍ؛ وفيها تتجلى مقاصدٌ متعددةٌ صريحةٌ ومُضمرة. وهذه القراءة تحاول تفكيك المنطلقاتِ واحدةً واحدة، ثمّ بيان المقاصدِ كما وردتْ أو تُستنبطُ من نصّ الكلمة، على النحو الآتي:

المنطلق الأول: مرجعية شرعية وتأسيس إيماني

تفتتح الكلمة بالبسملة والحمد والصلاة على النبيّ، والرجوع إلى آياتٍ ذات حمولة قتالية ونُصرة، فتضع الفعل العسكريّ في إطارٍ شرعيّ عقائدي. وهذا التأسيس يحقق وظيفتين: الأولى: منح العمل مشروعيةً دينيةً عند الجمهور. والثانية: تحويلُ الحدث من فعلٍ سياسي - عسكريّ إلى امتحانٍ إيمانيّ يستدعي التضحية والصبر. كما أن الاستشهادَ بالقرآن والسند الشرعي يعملان كآلية تعبئةٍ نفسيةٍ ومعنوية، يجعلان القاعدة الأخلاقية للحشد واضحةً، ويستلبسان أي نقدٍ أخلاقيٍّ أو شرعيٍّ مُحتملٍ بالقول إن الفعل مُحفوفٌ بشرعيةٍ إلهيةٍ. هذا الأسلوب شائعٌ في خطاب المقاومة؛ لأنّه يطوِّع المشاعر التعبدية، ويُضفي على العمل صفةَ الخلود الأخلاقيّ تاريخياً، ويحشد الطاقات التي تتأسس على الإيمان بالكلام الشريف.

المنطلق الثاني: تشخيص الاعتداءات والانتهاكات تسويغاً للعمل

جاءت كلمة القائد محمد الضيف تعرضُ سلسلةً طويلةً من ممارساتِ الاحتلال: اقتحاماتٌ للمسجدِ الأقصى، تدنيسٌ، اعتداءاتٌ على المرابطين،

ترحيلٌ وسلْبٌ، وبناءٌ مستوطناتٍ، وجرائمٌ في السجون. هذا العرضُ ليس سرّداً بل تأسيسٌ أخلاقيٌّ وقانونيٌّ للعمل. ومن هنا يتجلى بناءٌ سرديّةٍ مفصّلةٍ عن الانتهاكات يحقّق هدفين متتابعين: أولاً: يستثير مشاعر الغضبِ والحنقِ في النفوسِ ليُشجّع على الفعل. ثانياً: يبني سرديّةً دفاعٍ أخلاقيّةٍ تُسوِّغُ الخيارَ العسكريّ على أساسِ ردِّ العدوانِ والدفاعِ عن المقدساتِ والناسِ. وبهذه الصورة، يتحوّل العملُ الميدانيُّ إلى ردٍّ حقٍّ لا جريمةً فيه.

المنطلق الثالث: خطاب الحشد الشامل والتعبئة الشعبية

جاء خطاب الضيف خطاباً موجّهاً إلى الداخل الفلسطيني "غزة، الضفة، الداخل"، وإلى الأمة الإسلامية، وإلى أحرار العالم: نداءاتٌ مباشرةٌ للجماهير: "اليوم يومكم"، "من عنده بندقية فليخرجها"، "من ليس عنده بندقية فليعمل بأداةٍ متاحة". هذا المنطلق يُحوّل المقاومة من هيكلٍ مؤسسيٍّ إلى مشروعٍ شعبيٍّ واسع؛ فبالمناشير والأوامر يُوسّع ميدان المشاركة ليشمل كلّ فئات المجتمع، وهذا يضاعفُ قوّة الحراك، لكنه أيضاً يزيدُ احتمالاتِ الفوضى والتبعاتِ الإنسانية إذا لم تُدبّر عمليّاتُ الاستهدافِ والمديرّياتُ الميدانيّةُ بدقّة.

المنطلق الرابع: استعراض قدرة عسكرية وإحياء الانتصار المبدئي

إن ذكر أرقامٍ ونسبٍ مثل إطلاقِ آلافِ الصواريخ/القذائف خلال الدقائق الأولى يُخاطبُ عاملَ الثقة: داخليّاً لرفع الروح المعنوية، وخارجيّاً لتهوئشِ صورة "المنعّة" لدى العدو. فالرقمُ هنا ليس مجرد بيانٍ عمليّاتيٍّ؛ بل خطابٌ قوّة يهدف إلى إعادة صياغة ميزان الرعب: أن يَعْلَمَ العدوُّ أن خسارته ليست عابرةً

وأن فرض تكاليف جسيمة لم يعد خياراً متروكاً له، كما أن مثل هذا الإعلان يُوجّه رسالةً إلى الحواضن الإقليمية والدولية بأن هناك قدرةً عمليةً واجبةً الاكتراث.

المنطلق الخامس: دعوة التضامن الإقليمي والمقاومي

النداء الموجه إلى حركات المقاومة في المنطقة "لبنان، سورية، العراق، اليمن"، يهدف إلى توحيد المحاور وضرب أوهام العدو بمواجهةٍ موحدة. هذا المنطلق يحمل بُعداً استراتيجياً: توسيع الساحةِ لجبرِ العدو على تشتيت جهدهِ وتوسيع تعقيدات حساباته، كما أنه يردع محاولة العدو لعزل ساحة فلسطين عن الأمتين العربية والإسلامية، ويُعزز منطق "وحدة المصير".

المنطلق السادس: التأكيد على الاستمرارية والمرجعية القيادية

إن التوجيه بمتابعة البيانات العسكرية المتوالية، وظهور القائد باعتباره منظماً ومُدبراً يُعزّز ثقة الجمهور في قيادة مركزية منتظمة. فالانتظام البلاغي والإداري يُحارب سلب التنظيم الذي قد يأتي من العمل العفوي، ويُعطي انطباعاً بأن هذه الضربة نتاج خطة مُعدّة مسبقاً، لا ردّة فعل عشوائية. هذا مهمٌ جداً لإقناع المقاتل والحاضنة والوسط الدولي بأن هناك قدرة قيادية ومسؤولية.

المنطلق السابع: الانطلاق من الشرعية الداخلية والهيمنة الرمزية على

القرار

هذا منطلق سياسي - رمزي يسعى إلى تثبيت قيادة المقاومة باعتبارها مرجعيةً شرعيةً وقياديةً داخل الإطار الاجتماعي والسياسي المحلي، بحيث لا تكون مجرد فاعلٍ عسكري بل مصدرًا شرعيًا للقرار العام "الحرب والسلم، توجيه العمل الشعبي، تحديد الأولويات". فإشارة الخطاب إلى مشروعيته الداخلية لا تقتصر على استدعاء المرجعيات الدينية فحسب، بل تُوظف لغةً مؤسسيةً توحى بأن للقيادة حقَّ الفعل والاختيار باسم المجتمع. هذا التأسيس ينقل الخطاب من حالة "استجابة أهلية" إلى حالة "قيادة شرعية"؛ ومنه يأتي تسلسل الأوامر، شروط المشاركة، وإعلان النتائج. فالعُلب على رمز الشرعية يهدف أيضًا إلى تقليل شرعية أي منافس محلي، وإحكام السيطرة الرمزية على مفاصل القرار. وينتج عن هذا المنطلق: تعزيز الالتفاف حول القيادة وتوحيد المسارات العملية والسياسية، وتقويض شرعية الخطابات المنافسة أو الموازية، مما يسهل تمرير توجهات ميدانية وسياسية، وإيجاد قاعدة شرعية تُوظف لاحقًا في مفاوضات داخلية أوفي إدارة ملفّات ما بعد الصراع.

المنطلق الثامن: الإيقاع بالزمن السياسي واستثمار اللحظة

هذا منطلق تكتيكي-استراتيجي قائم على استثمار التوقيت؛ أي تحويل ذروة الغضب أو تراكم الأحداث إلى فعل منظم قبل أن يتبدّد الدافع الشعبي أو يتحول إلى طاقة مشتتة. فالاختيار المتعمد للتوقيت يعكس قراءة لحظةٍ سياسيةٍ محليةٍ وإقليميةٍ ودوليةٍ: توقيتٌ يضمن أقصى أثر نفسي وإعلامي ويستفيد من عناصر المفاجأة. فاستثمار اللحظة يعني أيضًا منع تسارع المؤثرات

المهدئة "وساطات دولية، وتهدئة داخلية، وضغوط سياسية" قبل إتمام عملية مؤثرة؛ لذلك الإعلان السريع والمباشر يهدف إلى تبديل سُلّم الأولويات لدى الخصم والمجتمع وبثّ مبادرة زمنية جديدة لا تسمح للعدو باستعادة زمام المبادرة فوراً. ومن ثمار ذلك: تفجير طاقة شعبية فاعلة تُترجم إلى مشاركة ميدانية فورية، وإرباك حسابات العدو وجبره على ردّة فعلٍ متسّعة أو دفاعية، وإيجاد نافذة زمنية للحركة تُمكنها من تحقيق مكاسب قبل تبلور موازين قوى مضادة.

المنطلق التاسع: الاستفادة من الإعلام الرقمي والدولي

وهو منطلق اتصالي-استراتيجي يهدف إلى صناعة حدثٍ إعلاميٍّ متكاملٍ يفرض نفسه على ساحة التنافس الرمزي الدولي ويستثمر السرعة والانتشار في المنصّات الرقمية. فالخطاب اليوم لا يصلح إلا إذا وُضع في قالبٍ إعلاميٍّ قابلٍ للانتشار: لقطاتٌ قوية، عناوين موجزة، أرقامٌ قابلة للتداول، ونداءاتٌ بسيطةٌ للتحشيد. تصوير الحدث إعلامياً يحقق أهدافاً متعددة، منها: أنه يُضخّم الانتصار في الداخل، ويُشغّل قنوات الخبر الدولي، ويجعل من الصعب على الجهات المتنافسة إطفاء الضوء عنه سريعاً. بالإضافة إلى ذلك انتشار المشاهد والبيانات باللغات المتعددة يخاطب أسراً واسعة من المتلقين، ويولد زخماً شعبياً دولياً قد يترجم إلى مواقف سياسية لاحقة. وهذا من شأنه أن يفرض الحدث على الأجندة الإعلامية الدولية ويُقلص قدرة الخصم على احتكار

السرد، ويعمل على تفريخ تضامنٍ شعبيٍّ خارجيٍّ يضغط على حكوماتٍ إقليميةٍ ودوليةٍ، ويولّد فضاءً تفاوضيًا جديدًا مبنياً على نتائجٍ مرئيةٍ يصعب تجاهلها.

المنطلق العاشر: قياس وتظهير القدرات العملية واختبار أنظمة العدو

هذا المنطلق استخباري-تكتيكي يستخدم العمل الميداني كفرصةٍ عمليةٍ لاختبار فعالية أنظمة الدفاع والهجوم لدى الخصم، وكشف نقاط الضعف العملية والتقنية. فعندما تُعلن قيادة عن أعداد الصواريخ أو نتائج محاولات اختراق؛ فهي في الواقع تُجري تجربةً واختبارًا لردود فعل الأنظمة الدفاعية، لزمّن الاستجابة، لشروط الاعتراض، ولنشاط أجهزة الاستخبارات. فالنتائج تسمح بتعديل الخطط، وإعادة توزيع الموارد، وابتكار تكتيكات جديدة أقل تكلفة وذات أثر أكبر. وهذا المنطلق يربط الضربة الفورية بعملية تعلّم تكتيكي متسلسلةٍ تُحسّن أداء الحركة على المدى المتوسط. ومن ثمرات ذلك كشفُ ثغرات تقنية أو تنظيمية لدى العدو يمكن استثمارها لاحقًا، وإجبارُ الخصم على ترقية أنظمتها أو تغيير قواعد الاشتباك مما يكشف عن تكاليف إضافية عليه، وزيادةُ الخبرة التكتيكية لدى المطلقين للضربات وتحسين التخطيط المستقبلي.

المنطلق الحادي عشر: إخراس الأصوات الداخلية المُعادية للمقاومة

وهذا منطلق سياسي-اجتماعي يهدف إلى احتواء الساحة الداخلية عبر إنتاج إنجاز ميداني يُحوّل خطاب النقد إلى هامشٍ ضعيف أو خامل أمام كرة الإنجاز؛ فكلمات القائد وتصاعد إنجازات ملموسة تعملان معًا لإضعاف

المداخل النقدية: الجهات التي انتقدت السلاح أو الاستراتيجية تصبح في وضعٍ مُحرَجٍ أمام نجاحٍ ظاهريٍّ أو موقفٍ شعبيٍّ متعاطفٍ؛ فهذا المنطلق لا يُلغي وجود النقد، لكنه يعمل على تقليل تأثيره العملي عبر شغل ساحة النقاش بحاجةٍ فوريةٍ للانخراط والدعم. كذلك تُستخدم وسائط الإعلام الداخلية لعرض المشاهد التي تُبرز النجاح وتهمّش الأصوات المعارضة، فتتحول العضلات الفكرية إلى خلافات هامشية. ويترتب على ذلك: تراجعُ مكانة الأصوات النقدية في المشهد العام وانقلابُ الرأي العام لصالح القيادة، وتوحيدُ نسبيٍّ للمواقف السياسية الداخلية وتجنّبُ حالات الانقسام العميق، ومخاطرُ قمعٍ ضمنيٍّ للمعارضة إذا لم تصحب القيادة آلياتٍ لحماية الحاضنة المدنية وحقوق الاختلاف.

المنطلق الثاني عشر: تحريك الأسواق السياسية الإقليمية

أما هذا المنطلق فهو منطلق استراتيجي-دبلوماسي يهدف إلى إحداث تأثيرٍ في موازين المصالح الإقليمية والدولية عبر إيجاد تكلفةٍ مفاجئةٍ تُجبرُ الفاعلين على إعادة تقييم مواقفهم أو الانخراط في وساطات؛ فإنتاج واقعٍ ميداني جديد يغيّر موازين المصالح يؤدي إلى ضغوطٍ على الدول الداعمة أو الحامية للعدو. وهذه الضغوط قد تكون على شكل خسائر اقتصادية، تهديدات للأمن القومي، أو أزمةٍ إنسانيةٍ تتطلب تدخلاً. فالرسالة هنا مزدوجة: تخويف دول الراعي بأن استمرار الوضع يُصيب مصالحها، أو إغراءها بالمشاركة في إدارة الأزمة لتفادي التفاقم. كما يُستخدم الواقع لقياس مدى استعداد الفاعلين

للضغط على خصمهم أو للمبادرة بوساطات فاعلة. ومما يترتب على ذلك: اتصالات دبلوماسية طارئة، محاولات وساطة، أو تحولاتٍ تكتيكية في مواقف بعض الدول، وإعادة ترتيب أولويات بعض الفاعلين الإقليميين، وربما تغيير خطوط الدعم أو التشدد في الضغوط الاقتصادية، وتوليد هواجسٍ لدى الراعي تدفعه إلى إعادة احتساب كلفة الانخراط المباشر أو غير المباشر.

خلاصة المنطلقات

يتبين لنا أن الخطاب لم يكن مجرد إعلانٍ عسكريٍّ عابرٍ، بل هو مجموعةٌ منظمّةٌ من الخيارات التكتيكية والاستراتيجية والرمزية التي تهدف إلى تحقيق أثرٍ ميدانيٍّ مباشرٍ، وتأثيرٍ سياسيٍّ ودبلوماسيٍّ طويل الأمد. فإثباتُ المشروعية داخلياً، وامتلاكُ زمامِ التوقيت، وتصميمُ حدثٍ إعلاميٍّ يفرضُ على الأجندة، واختبارُ قدرات العدوِّ في آن واحد — كلّها أدواتٌ متكاملةٌ تُحوّلُ الفعلَ إلى عمليةٍ ذات أبعادٍ متعددةٍ ومتداخلة. وهنا يكمنُ جوهرُ الحكمةِ في التماسك: إنَّ مُجرّدَ الانتصارِ الميداني لا يكفي إنَّ لم يُوطّرَ سياسياً ورمزياً، ويُحوّلَ إلى مكاسبٍ قابلةٍ للاستمرار؛ لذلك كان الرهانُ على الحشد الشعبي والشرعية الداخلية ضرورياً لتثبيت الوقائع على الأرض، وفي الوقت ذاته لم يغب عن الخطاب بُعدُ الاستخبارات والتعلّم التكتيكي الذي يحوّلُ الضربة إلى عملية بناءٍ خبرةٍ ورصيدٍ تفاوضيٍّ. لكن لا بدّ من التنبيه إلى حدود الفعل وواجباته الأخلاقية: توسيعُ المشاركة الشعبية ونشرُ النضال إلى كلّ الفضاءات يجبُ أن يقترنَ بضوابطٍ دقيقةٍ لحماية ما يمكن حمايته، والحفاظ بقدر الإمكان على

الحاضنة، وإدارة واعية لوسائل الإعلام حتى لا يتحوّل التضخيم الإعلامي إلى مَسئوليّة تُستغلُّ ضدَّ المصالح الإنسانية والسياسية. كذلك على القيادة تحويل المكاسب التكتيكية إلى استراتيجية سياسية متماسكة تقودُ إلى نتائج ملموسة وليست مجرد انتصارات عاطفية.

ثانياً: قراءة في مقاصد الخطاب

كما أن لخطاب الضيف منطلقات انطلق منها ولها ثمراتها، فإن له مقاصد حققها، أو حقق بعضها على الأقل، ومنها:

المقصد الأول: تحقيق الردع الميداني وكسرُهيبة الاحتلال

أول هذه المقاصد أو الهدف المباشر والمعلن من الضربة هو إخضاع القدرة العسكرية المعادية لتكلفة تؤدي إلى فقدان منطق "المنعة". "كسرُهيبة الاحتلال ليس غاية مجردة نفسية؛ بل يعني عملياً تقليص قدرته على التحرك الآمن، وإثارة ترددٍ داخليٍّ في سلطاته ومستوطنيه. وقد تحقق هذا المقصد بأثارٍ فورية، منها: تعطيل أجزاء من الآليات العسكرية، قتل أعدادٍ من الجنود، وأسْرُ مقاتلين، مما يُوجد فترات ارتباكٍ ذهنيٍّ وميدانيٍّ لدى الطرف الآخر، وعلى المستوى المعنوي، يكسر هذا المقصد عقدة الخوف لدى الجمهور الفلسطيني، ويُعيد إليه إمكانية الاشتباك والمبادرة.

المقصد الثاني: إضعاف السُلطة الرمزية للأمن الدولي وكشف ازدواجية

المعايير

وقد تحقق ذلك فعلاً بإظهار عجز المجتمع الدوليّ أمام الانتهاكات. فالخطاب "الضيفي" استهدف تشويه صورة منظومة الحماية الدولية وإبراز تناقضاتها الأخلاقية. والمقصود هنا ليس سلب دور القانون الدوليّ، بل جعل الصراع واقعاً لا يمكن تجاهله، وإجبار الفاعلين الدوليين على التعامل مع فرضية تغيير ملموس في حقائق القوة. وهذا يفتح مساحةً للمناورة السياسية والدبلوماسية لاحقاً.

المقصد الثالث: تفعيل الحاضنة الشعبية وتعميم المقاومة بوصفها خياراً مشروعاً

يهدف خطاب الضيف إلى تحويل التعاطف إلى مشاركة فعلية: من دعم معنويّ إلى مشاركة ميدانية أولوجستية أو اقتصادية، وذلك بتحويل الجمهور إلى عنصر فاعل، تزداد قدرة الحركة على الاستدامة؛ لأن المقاومة حين تُدرك على أنها مشروع شعب لا مؤسّسة منفردة، تكون أقوى في مواجهة الحصار والعزلة. لكن هذا يفرض مسؤوليةً عليا على القيادة لضبط العمل الشعبي وتوجيهه نحو أهداف استراتيجية لا فوضى تُلحق بالمدنيين.

المقصد الرابع: جمع مكاسب استخبارية واستثمار الأسرى سياسياً

إن الحصول على أسرى وعتاد ومعلومات تكتيكية يعطي أداة تفاوضية واستراتيجية لا يستهان بها في أيّ مفاوضات مستقبلية. فوجود عددٍ مهمٍّ من الأسرى يفتح نافذة للتفاوض والضغط، ويسمحُ بكشف خبايا العدو واستنزاف قدراته النفسية، وذلك من خلال الأسرار العسكرية والاستراتيجية التي مع

الأسرى. فهذه المعلومات المكتسبة تُسهم في تحسين خطط العمليات المستقبلية وتقليل الخسائر.

المقصد الخامس: إرساء سردية النصر وإعادة بناء الرموز التاريخية

وذلك من خلال تسمية العملية "طوفان الأقصى"، واستدعاء رموز دينية وتاريخية، يسعى الخطاب إلى إدخال العمل في سجلات الذاكرة الجمعية كحدث ذي شأن حضاري. ومن هنا فإن السمعة التاريخية تُسهم في تحويل الحدث إلى مصدر إلهام دائم؛ وهذا يؤثر على التكوين السيكولوجي للأجيال المقبلة، ويُعيد ترتيب أولويات الخطاب السياسي والثقافي في الساحة.

المقصد السادس: إعادة الهيكلة السياسية المحلية ودفع مشروع

التحرير

من شأن خطاب الضيف في إطلاق الطوفان أن يتم التحويل من حالة دفاعية إلى مشروع يسعى للتحرير والعودة وإقامة دولة، يتضمن دعوة صريحة لإعادة ترتيب الأولويات السياسية والشروع بخطوات عملية لتحقيق هذا المشروع. ويترتب على ذلك دفع الشارع والفاعلين السياسيين نحو مشروع واضح يُسهّل تشكيل تحالفات داخلية وخارجية، لكنه أيضاً يتطلب مخططات سياسية وإدارية لاحقة لضمان استدامة المكاسب وعدم حصرها في إنجاز لحظي لا يتبعه بناء.

المقصد السابع: التحشيد الإقليمي لإيجاد توازن استراتيجي جديد

لقد جاء نداء الضيف إلى فصائل المقاومة في المنطقة سعيًا لتكوين شبكة ضغط إقليمية تقوّض سياسة العزل وتحوّل الصراع إلى مسرح متعدد الجهات. ومن هنا فإن توحيد المحاور يرفع تكلفة التدخل العسكري للعدوّ ويُدخل عناصر الردع الإقليمية ضمن حساباته؛ بيد أنّ هذا المسار يحمل مخاطر توسّع وتورّط أكبر إذا لم يُدار بحكمة سياسية متفقٍ عليها.

المقصد الثامن: توجيه المجتمع الدوليّ عبر واقع جديد لا يمكن تجاهله

ويكون هذا بإحداث تغيير ملموسٍ على الأرض، فإنّ الهدف هو تهيئة وضعٍ إقليميٍّ ودوليٍّ يفرض إعادة النظر في السياسات التقليدية، ويضع قضية فلسطين في مقدمة الأولويات الدولية. ومن هنا يمكن للضغط العمليّ أن يبيّن مساحات دبلوماسية للشعب الفلسطينيّ، لكنّه يتطلب أيضًا تخطيطًا لمرحلة ما بعد الصراع كي تُحوّل المكاسب الميدانية إلى إنجازات سياسية قابلة للتدعيم والاعتراف.

المقصد التاسع: تركيز أدوات الضغط التفاوضي وتحويل الضربة إلى ورقة

تفاوض

هذا المقصد يعتبر مقصدًا تكتيكيًا - سياسيّ يهدف إلى حيازة عناصر قدرة قابلة للصرف السياسي (أسرى، معلومات، أسلحة، مواقع مدمرة) تُستخدم لاحقًا كورقة للمقايضة أو لتحقيق مكاسب في أي مفاوضات قادمة؛ وذلك لأنّ تحصيل موارد تفاوضية يمنح الطرف المقاوم قدرة عملية على تغييب المعادلة الأحادية ويضعه على طاولة القرار؛ لذا يُعتبر هدفًا مقصودًا ومباشرًا في

التخطيط والبيان السياسي. ومن شأن ذلك أن يوفر قدرة تفاوضية ملموسة تقلص الضغوط أو الكلفة السياسية، وتُمكن من تحقيق إفراجات إنسانية أو شروط عملية، كما يعزز من وزن الطرف المفاوض إقليمياً ودولياً.

المقصد العاشر: الهيمنة على السرد التاريخي والموروث الثقافي

وهذا مقصد رمزي – ثقافي يسعى إلى تثبيت تسمية الحدث وسرديته داخل الذاكرة الجمعية، ليصير الفعل جزءاً من المنظومة الرمزية والتربوية التي تُعرّف هوية الجماعة وتُبرر ممارساتها لاحقاً؛ وذلك لأن العمل على بناء سردية اسمية مثل "طوفان الأقصى"، واستدعاء رموز تاريخية ودينية يتطلب اختيارات واعية في الخطاب والتكرار، فهو ليس أثراً عابراً بل نتيجة مرسومة ومقصودة. ومن هنا فإن سيطرة السرد تُنتج أثراً طويل الأمد في تشكيل الهوية، وتزوّد الحركة بشرعية ثقافية تُعزز انضباط الحاضنة، وتسهّل تعبئة الأجيال القادمة، وتوظيف الحدث في السياسة والثقافة.

المقصد الحادي عشر: إضعاف الروح المعنوية للمجتمع المعادي على

المدى الطويل

هذا مقصد استراتيجي نفسي – اجتماعي يهدف إلى ضرب مؤشرات الأمان لدى الخصم "مستوطنات، مرافق مدنية، اقتصاد" لإحداث تأثير ممتد يُضعف قدرة المجتمع والجهات الداعمة على الصمود؛ وذلك لأن استهداف ما يعتبره الخصم "أمنياً يومياً" يتجاوز أهداف التكتيك المؤقت؛ ويُستخدم عمداً أداة ضغط نفسي من شأنها تغيير سلوكيات الأفراد والدولة عبر الزمن؛ لذا فهو

قصدٌ مُخطّطٌ، وتتجلى أهميته في أنه إذا نجح يؤدي إلى تراجعٍ سلوكية "نزوح، تراجع استثمارات، ضعف معنويات" تُخفّض من قدرة الدعم الداخلي للعدو وتُمهّد لتغيير سياسات على المدى المتوسط.

المقصد الثاني عشر: تظهير انقسام النخب والدول الداعمة للعدو

وهو مقصد دبلوماسي - سياسي يسعى إلى كشف تباينات المواقف الرسمية والنخبوية لدى الدول الراعية لإضعاف التماسك الخارجي الذي يعتمد عليه الخصم؛ وذلك لأن اختلاق أو استثمار مواقف متباينة وإبرازها إعلامياً وسياسياً يسعى لزيادة الضغط على التحالفات؛ هذا توظيف واعٍ للوقائع والردود، ولذلك هو مقصد استراتيجي. ومن هنا فإنه يزيد هامش العزلة الدولية للعدو، ويضعف ثقة داعميه فيه، ويوجد فرصاً لتأثير الوساطات أو لفرز مواقف جديدة تخدم المصالح المحلية للمقاومة.

المقصد الثالث عشر: تسريع مفاعيل التوظيف الجهادي: تجنيد وتعبئة

وهذا مقصد تعبوي - عملي يهدف إلى توسيع قاعدة المشاركة والالتزام عبر حثّ فئاتٍ واسعة خصوصاً الشباب على الانخراط بأشكال متنوعة "مباشرة كانت أولوجستية"؛ وذلك لأن الخطاب يفتح "باب كل وسيلة متاحة"، ويستهدف شرائح محدّدة بلغةٍ دعائيةٍ مباشرة، فهذا يدل على نية منهجية لتجنيد عناصرٍ جديدةٍ، وتعبئة طاقات فتية، وهو - من ثمّ - مقصد عملي معلوم؛ إذ يعزز الاحتياط البشري للمقاومة، ويضمن استمرارية الحاضنة،

ويولّد طاقاتٍ جديدةً قد تُستخدم في جولات لاحقة من الصراع؛ لكنه أيضًا يقتضي إدارة أخطار تعبئة غير منظمة.

المقصد الرابع عشر: ابتكار قواعد مواجهة جديدة: تجريب تكتيكات وأنظمة مواجهة

إنه هذه المرة مقصد تقني - تكتيكي يسعى إلى استخدام العمليات الميدانية كميدانٍ لتجريب أسلحة، أنظمة، وتكتيكات هجومية ودفاعية جديدة، بغرض التعلّم والتحسين؛ إذ إن القيام بتجارب ميدانية متعمدة، وتسجيل النتائج لتطوير أداء لاحق، يشير إلى خطة منهجية لابتكار قواعد مواجهة؛ لذا يُعدّ مقصدًا عمليًا واستراتيجيًا. يمكن أن يمنح مزايا تكتيكية في معارك لاحقة، ويخفض من تكلفة العمليات المستقبلية، ويحوّل الخبرة الميدانية إلى رصيد تقني واستراتيجي دائم.

المقصد الخامس عشر: الاستثمار في مشروعية المقاومة أمام المجتمعات الإسلامية والعالم

وهو مقصد سياسي - أخلاقي يهدف إلى ترسيخ صورة المقاومة خيارًا مشروعًا دفاعيًا ودينيًا لدى جمهورٍ واسعٍ داخليًا وخارجيًا. ومن هنا فإن ربط العمل بالمقدسات والحرمة الدينية وتكرار الاستشهاد الشرعي في الخطاب هو أداة متعمدة لبناء قبول أخلاقي وسياسي للمقاومة، ما يجعله قصدًا واضحاً للخطاب. ومن شأنه أن يوسع قاعدة التأييد الدولي والديني، ويولّد مظلةً

شرعية قد تُخفّف الضغوط على الحركة، وتساعد في استقطاب تضامن شعبي ودبلوماسي طويل الأمد.

المقصد السادس عشر: إيجاد قواعد ضغط اقتصادية وسياسية على

الدول الراعية

وهذا مقصد اقتصادي – دبلوماسي يستهدف تحويل تكاليف الصراع إلى أعباء تُثقل كاهل الدول التي تدعم أو تحتمي بالعدو، عبر تعطيل اقتصاديات وقطاعات حسّاسة. فاختيار استهداف مؤشرات اقتصادية واستثارة هواجس الراعين مبني على حسابات مسبقة للنتائج، ومن ثم فهو مقصد استراتيجي يهدف إلى التأثير في سياسات رعاتهم؛ إذ إنه يقود إلى ضغط على حكومات داعمة بشكل يدفعها لإعادة تقييم سياساتها أو التوسّط لتخفيف الأضرار، ويُوجد رافعات ضغط سياسية تُستغل دبلوماسياً.

المقصد السابع عشر: إضعاف سياسات التطبيع وإجهاض مشاريع

السلام التنازلي

هو مقصد سياسي – رمزي يهدف إلى تعطيل أي محاولات لإضفاء شرعية على الاحتلال عبر اتفاقيات تطبيع أو "سلام تنازلي" يُفَرِّط بحقوق الشعب. ومن هنا فإن إبراز جرائم الاحتلال وإذكاء الوعي الشعبي حولها يهدف مباشرة إلى إيجاد ردّة فعل شعبية ودبلوماسية تقلب موازين الدعم للتطبيع. وهذا استعمالٌ مقصود للحدث لتغيير معادلات الشرعية السياسية بشكل يقلّص هامش تطبيق مشاريع التطبيع، ويحبط محاولات تصفية القضية على حساب

الحقوق، ويُعيد التركيز على خيار التحرير والعودة كبديل لا يقبل الصفقات المذلة.

خلاصة المقاصد ومستقبل الأثر

بعد سرد هذه المقاصد واستنباطها من خطاب القائد المظفر محمد الضيف يمكننا القول: إن هذه المقاصد المستنبطة تُظهر أن الإعلان لم يكن حدثاً عسكرياً عابراً، بل مشروع خطابٍ واستراتيجية متكاملة ذات أبعادٍ تكتيكية وسياسية ورمزية. فبينما حقق بعض المقاصد أثراً فورياً "ككسر رهبة العدو، وفتح نافذة تفاوضية"، تبقى بقية المقاصد، وخصوصاً تلك ذات البعد الاستراتيجي الطويل، مرتبطة بمدى قدرة القيادة والحاضنة على تحويل المكاسب الميدانية إلى مكاسب سياسية ودبلوماسية مستدامة، مع الحفاظ على الشرعية الأخلاقية وحماية المدنيين. من ثم، فإن أهم ما ينطوي عليه هذا الخلاص المنهجي هو التذكير بأن الفعل العسكري يحتاج إلى مكملات سياسية وإدارية وإعلامية، فترسيخ السرد التاريخي لا يكفي ما لم يُواكبهُ بناء مؤسساتي، وتحويل ورقة الأسرى والمكاسب الاستخبارية إلى أدوات تفاوضٍ فعالة يتطلب استعداداً سياسياً ودبلوماسياً ومدنياً. وعلى هذا الأساس، يصبح الهدف استدامة الأثر لا الاكتفاء بالهتاف أو بالنصر اللحظي. يُضاف لذلك، أن هذه الخلاصة من المقاصد تستدعي إجراءاتٍ عملية على نحوٍ فوري ومؤسسي، منها: أولاً: تبني مؤشرات رصدٍ لقياس مدى تحقيق كل مقصدٍ "أمنياً، شعبياً، دبلوماسياً، اقتصادياً" لِيُقيَم المسار ويُعدّل السياسات. ثانياً: الحفاظ على

شرعية العمل عبر ضوابط لحماية المدنيين واحترام الأعراف الإنسانية؛ لأن فقدان هذه الشرعية يُضعفُ كلَّ المكاسب الرمزية والسياسية. ثالثاً: العمل على تحويل الزخم الإعلامي إلى جهود دبلوماسية منظمّة تستثمر حالة الاهتمام الدولي لفتح قنوات تفاوضية تدفع نحو شروط ملموسة ونتائج إيجابية. ولا يفوتنا أن نضع هذه القراءة المقاصدية في إطارها الأخلاقي والروحي، فكما تعلّمنا الآيات أن في الأحداث "آيات للصّابرين الشّاكرين"، فالمطلوب ألا تُستغلّ اللحظة فقط للتحريض أو الاستعراض، بل لتثبيت الصبر على الثمن، والشكر على النعم الظاهرة والمكتسبة، والعمل على بناء مستقبل يصون الكرامة ويُحقّق الحرية والتحرير. وبذلك تغدو المقاصد ليست مجرد أهداف عملية، بل مساراً متكاملًا لانتقال القضية من حالة المواجهة إلى مشروع تحوّل سياسي وإنساني مُستدام.

خاتمة تحليل الخطاب

وأخيراً، فإن كلمة القائد محمد الضيف عند إطلاق "طوفان الأقصى" لم تكن إعلاناً عسكرياً فحسب، بل صيغت بياناً مركّباً: شرعيٌّ يؤصّل، سياسيٌّ يستنهض، شعبيٌّ يوسّع، واستراتيجيٌّ يغيّر موازين. وكذلك فإن هذا الخطاب الذي تجسّد في هذه الكلمة تراكمت منطلقاته بين المرجعية الشرعية، وسردية الانتهاك، وضغط الحشد الشعبي، واستعراض القدرة العسكرية؛ أما مقاصدها فترنو إلى تحقيق ردع ميدانيّ، وإعادة بناء صور القوة والمعنى، وتجميع أدوات تفاوضية واستخبارية، ودفع مسارات سياسية وإقليمية جديدة. مع

ذلك، فإنّ فاعلية هذه المنطلقات وتلك المقاصد لا تُقاسُ بالبيان وحده؛ بل
بقدرّة القادة والمجتمع على تحويل المكاسب التكتيكية إلى مشروعٍ سياسيٍّ
متينٍ، يُحضّرُ حساباتِ الحفاظِ على المكتسبات، ويوظّفُ قواعدَ الجهاد في
العمل السياسي الدوليّ والحوار الدبلوماسيّ دون التخليّ عن ثوابتِ الحقِّ
والمقاومة. وهذا كله يُقرّبُ التحرير الذي أصبح ممكناً، بل نراه قريباً.